

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَنَحْذِرُ أَفَاتَ اللِّسَانِ

الحمد لله الذي جعل للإنسان لساناً وشفتين، وهداه النجدين، وأمره بأن ينطق بصدق الكلام ونهاه عن النطق بالقبيح والشين، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أوضح لعباده الطريقين: طريق أهل النجاة وطريق أهل الشقاء، ودعاهم بأن يكونوا مع خير الفريقيين، ونشهد أن سيدنا ونبيانا محمداً عبده ورسوله سيد التقلين، ﷺ وعلى الله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد، فيما عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم وطاعته، **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيُغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾**^(١)، واعلموا - رحمة الله - أن الله جل وعلا قد أنعم عليكم بنعمة عظيمة، إلا وهي نعمة الإفصاح والنطق باللسان، تعربون بها عمما يجول في خواطركم، وتعبرون بها عن مشاعركم، وقد امتن الله بها عليكم في قوله: **﴿الرَّحْمَنُ، عَلَمَ الْقُرْءَانَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَمَهُ أَبْيَانًا﴾**^(٢)، وقوله جلاله: **﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، وَهَدَيْتَهُ النَّجْدَيْنِ﴾**^(٣)، فنعمت النطق باللسان - عباد الله - من أجل نعم الله تعالى على الإنسان، ويجب عليه أن يرعى حق هذه النعمة بأن يستعمل لسانه في النطق بالخير، كذكر الله وتلاوة القرآن وتعليم العلم، وأن يكف عن النطق بالشر كالكذب والغيبة والنمية والتباذل بالألفاظ، وشهادة الزور واللعن والسباب، يقول الله تعالى: **﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ تَجَوَّهُمْ إِلَّا مَنْ أَمْرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَبْتِغَاهُ مَرَضَاتُ اللَّهِ فَسَوْفَ تُؤْتَيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**^(٤).

(١) سورة الأحزاب / ٧١-٧٠ .

(٢) سورة الرحمن / ٤-١ .

(٣) سورة البلد / ١٠-٨ .

(٤) سورة النساء / ١١٤ .

أيّهَا المُسْلِمُونَ:

إِنَّ آفَاتِ اللِّسَانِ كَثِيرَةٌ، وَمَنْ أَعْظَمُهَا الغَيْبَةُ وَالنَّمِيَّةُ؛ فَهَذَا دَاءُ إِنْ عَظِيمًا يَفْتَكَانِ بِوْحَدَةِ الْأُمَّةِ وَيُفَرِّقُانِ شَمْلَهَا، وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْغَيْبَةِ فَقَالَ: ((ذَكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرُهُ، قَيْلَ: وَإِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهِ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتْهُ)), فَحَرَامٌ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَغْتَبَ أَخَاهُ، وَيَصِفَهُ بِقَبِيحِ الْقَوْلِ، وَيَكْفِيهِ زَاجِرًا عَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحُبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)، وَهُلْ هُنَاكَ أَبْشَعُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ الْإِنْسَانُ لَحْمَ أَخِيهِ؟ فَمَا أَبْلَغَهُ مِنْ تَعْبِيرٍ! وَمَا أَحْقَرَهَا مِنْ خَصْلَةٍ! أَمَّا النَّمِيَّةُ فَهِيَ نَقْلُ الْأَخْبَارَ بِقَصْدِ الْإِفْسَادِ وَالشَّرِّ، وَهِيَ تُولَّدُ الْنُّفُورَ وَتُوَغِّرُ الصُّدُورَ، فَتَرَى الْأُسْرَةَ وَالْمُجَمَّعَ يَضْمُمُهُمُ الصَّفَاءُ، وَيَشْمَلُهُمُ الْهَنَاءُ، ثُمَّ يَأْتِي هَذَا النَّمَامُ فَيُحِولُّ سَعَادَتَهُمْ إِلَى شَقَاءِ، وَصَفَاءَهُمْ إِلَى كَدَرٍ وَعَدَاءِ، فَيَنْفَصِلُ الْأَخُونُ عَنْ أَخِيهِ، وَالابْنُ عَنْ أَبِيهِ، وَالزَّوْجُ عَنْ زَوْجَتِهِ، فَأَحْذَرُوا -عَبَادَ اللَّهِ- مِنْ تَصْدِيقِهِ وَسَمَاعِ قَوْلِهِ، فَقَدْ نَهَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُطِعُ كُلَّ حَلَافِ مَهِينٍ، هَمَازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْمَشَاؤُونَ بِالنَّمِيَّةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحَبَّةِ)).

إِخْوَةُ الإِيمَانِ:

مِنْ أَعْظَمِ آفَاتِ اللِّسَانِ الْكَذِبُ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِيمَانُهُ يَحْجِرُهُ عَنِ الْوُقُوعِ فِي هَذِهِ الْكَبِيرَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ((يُطْبُعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخَلَالِ كُلُّهَا لَيْسَ الْخِيَانَةُ وَالْكَذِبُ)), وَمَنْ أَقْبَحَ الْكَذِبَ أَنَّكَ تَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ يُحَرِّمُونَ بَعْضَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي أَحْلَّهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَقَدْ حَذَرَ الْمَوْلَى مِنْ ذَلِكَ أَيْمَانًا تَحْذِيرٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلِسْنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ، مَتَّعُ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢)، وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْلُفُ بِغَيْرِ اللَّهِ جَلَّ

(١) سورة الحجرات / ١٢ .

(٢) سورة النحل / ١١٦ - ١١٧ .

وعلا، كان يختلف بشرفه أو برأس أبيه، أو بطلاق زوجته أو غير ذلك، وهذا أمر محرّم، وعلى المسلم إذا ما وقع في شيء من آفات اللسان أن يبادر إلى الاستغفار والمتاب، وأن يتوقّى المجالس التي تكون فيها مثل هذه الآفات.

فأتقوا الله - عباد الله -، وتجنبوا عثرات القول وسقطات اللسان، والزموا الصدق في جميع أحوالكم، واعودوا النطق به السننكم، واستعملوها في طاعة الله وشكريه، واستغفاره وذكره، وربوا على ذلك أبناءكم حتى ينشأوا مؤمنين مخلصين.

أقول قولٍ هذا وأستغفرُ الله العظيم لي ولهم، فاستغفروه يغفر لكم إنْهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم إنْهُ هو البر الكبير.

*** *** ***

الحمد لله الذي أكرم الإنسان بصنوف الإحسان، وميّزه بموهبة الفكر والبيان، وأمره بصدق المقال وصالح الأعمال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، بعثه الله بدعاوة الحق وكلمة الصدق، فكان أصدق الناس قوله، وأركاهم عملاً، وعلى الله وصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيما عباد الله:

اعلموا أن المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان تجاه القول عظيمة، وتتضاعف تلقاء المسؤولية مع متغيرات الزمان، واختلاف الأحوال، فيتحرر المرء من كل كلمة يقولها، ومن كل خبر يسمعه، ومن كل رسالة يتسلّمها، فلا يبادر إلى نشرها إلا بعد التأكيد والتبيين، وهذه الأخبار والرسائل إما أن تكون حقاً أو تكون باطلة، فإن كانت باطلة فلا يجوز نشر الباطل، ولا إشاعة الفساد، ولو لم يقصد المرء من نشرها سوءاً، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تُشَيَّعَ الْفَحْشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، والنبي ﷺ جعل الإنذار على من ينقل الأخبار دون ثبتٍ ولا تبيين، فقال:

(١) سورة النور / ١٩ .

((كَفَى بِالْمَرءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)), وَأَمَّا إِنْ كَانَتِ الْأَخْبَارُ حَقًّا وَوَاقِعًا، فَهُنَا عَلَى الْمَرءِ أَنْ يَتَوَقَّفَ حَتَّى يَرَى الْأَصْلَاحَ لِلنَّاسِ؛ فَرُبَّ مَعْلُومَةٍ لَا يَجِدُ نَسْرًا وَلَوْ كَانَتْ حَقًّا؛ مُرَاعَاةً لِلْمَصْلَحةِ الْعَامَّةِ، وَرَبُّ كَلِمَةٍ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ. وَمِنْ وَاجِبِ الْمُسْلِمِ حُسْنُ اسْتِعْمَالِ وَسَائِلِ الاتِّصالِ الْحَدِيثَةِ، وَبِرَامِجِ التَّوَاصُلِ الْإِجْتِمَاعِيِّ، فَلَا تَتَّخِذْ لِنَقْلِ الْإِشَاعَاتِ، وَلَا لِتَرْوِيجِ الْأَكَاذِيبِ، فَإِنَّ الْكَلِمَةَ غَيْرَ الْمَسْؤُولَةِ تَفْتَحُ أَبْوَابَ الْفِتْنَةِ، وَتُوَهِّنُ الْمَجَمِعُ، وَنَقْضِي عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالْإِخْرَاءِ، وَلِيَعْلَمَ هَذَا الْمَرءُ بِأَنَّ اللَّهَ مُطَلِّعٌ عَلَيْهِ وَيَكْتُبُ آثَارَهُ، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدِيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١)، وَسَوْفَ يُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ كِتَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُسَجَّلًا بِهِ كُلُّ مَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُقَالُ لَهُ: ﴿أَفَرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٢)، وَمِنْ وَاجِبِ الْمَجَمِعِ أَنْ يَكُونَ يَقِظًا مِنْ مُرَوْجِي الْإِشَاعَاتِ، وَنَاقْلِي الْأَخْبَارِ الْمُغَرَّضَةِ، وَالْمَعْلُومَاتِ الْكَاذِبَةِ؛ تَطْبِيقًا لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَنَّمَةِ فَصُبِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَذِيرًا﴾^(٣).

فَاتَّقُوا اللَّهَ—أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ—، وَرَاعُوا حَقَّ الْكَلِمَةِ، وَكُونُوا عَلَى قَدْرِ الْمَسْؤُلِيَّةِ تَجَاهُهَا، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَيْ اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٤). هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حِيثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلَيْمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاتُهُ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ تَسْلِيمًا﴾^(٥).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،

(١) سورة ق / ١٨ .

(٢) سورة الإسراء / ١٤ .

(٣) سورة الحجرات / ٦ .

(٤) سورة البقرة / ٢٨١ .

(٥) سورة الأحزاب / ٥٦ .

كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَأَرْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلُفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
اللَّهُمَّ اجْعُلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعُلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالنُّقْيَ وَالْعَفَافَ وَالْغَنَى.

اللَّهُمَّ إِنَا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلُّاً مِنَا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاسِعًا مُنْبِيًّا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعْزِزِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدِ اللَّهُمَّ صُفُوقُهُمْ، وَأَجْمَعْ كَلْمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعْزِزْ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمَيْنَ.

اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيْدِيهِ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدَدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ لَكَ فِي الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشَيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزَرْوُعِنَا وَكُلْ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْمُنْعَنِ يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

